المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد

بحث في سيميائية الأهواء

The self's emotional scheme in the novel of the blue elephant of ahmed mourad

a study on the semiology of emotions

لخضر هني*

تاريخ الاستلام: اليوم / الشهر/ السنة تاريخ القبــول: اليوم / الشهر/ السنة

ملخّص:

يتناول هذا البحث استقراء المسار العاطفي للذات داخل الخطاب السردي لرواية الفيل الأزرق من منظور سيميائية الأهواء؛ إذ حاولت الدراسة أن تقارب مخطط توتر الذات وتفاعلها مع محيطها الدّرامي والنّفسي، وأن تفاتش انفعالاتها، واستعداداتها العاطفية خلال مواجهتها للنّسق التراتبي للأفعال، والأقوال، والأحداث داخل فعل التسريد الروائي.

كلمات مفتاحيّة: المخطط العاطفي، الفيل الأزرق، سيميائية، الأهواء.

Abstract:

This study tackles the induction of the emotional trajectory of the self in the narrative discourse of the novel

* جامعة محمد بوضياف: المسيلة؛ قسم اللغة العربية وآدابها .
البريد الإلكتروني: lakhdar.henni@univ-msila.dz

of The Blue Elephant from the perspective of semiotics of passions. It attempts to bring together the self-tension scheme and its interaction with its dramatic and psychological surrounding, and to inspect its emotions and emotional aptitudes through its confrontation with the hierarchical pattern of actions, sayings, and events within the act of narrative recitation.

Keywords: emotional scheme, blue elephant, semiotics, passions

1. مقدّمة:

ينطلق العمل الدرامي في رواية "الفيل الأزرق"[1] من فضاء عاطفي وانفعالي، يعالج مخطط توتر الذات وتفاعلها مع محيطها في مسار سردي أقرب ما يكون إلى رواية الجريمة، منها إلى رواية السرد النمطية، حيث ترتطم المآسي والطموحات في مشهد روائي واحد، تتخللها أحداث نفسيّة متصاعدة، ومفاجآت صادمة، تصل حدّ الإدهاش والارتعاش.

تحكي رواية "الفيل الأزرق" عالما طافحا بالحالات النّفسية، والمشاعر الجسديّة؛ إذ ينطلق الخطاب الإستهوائي من العامل الذات "يحي راشد"، وهو طبيب للأمراض النّفسية والعقليّة (Psychiatrist) في مشفى العباسيّة (8 غرب)، يدخل "يحي" في وساوس قهريّة، ونوبات من الإدمان؛ حيث يعاقر الخمرة، ويتعاطى المهلوسات/حبات الفيل الأزرق، ويزداد هوسه الشبقي مع لبنى ومايا، كلّ هذه الممارسات السلوكية تعدُّ مُعادِلاتٍ نفسيّة لمسايرة حالات التّوتر التي هيمنت عليه جرّاء فقده زوجته وابنته في حادث مرور أليم.

يقرر "يحي" بعد خمس سنوات من حياة الوحدة والعزلة؛ العودةَ إلى مشفى العباسيّة، بعد إنذار تلقاه من الإدارة (الإنذار رقم 2: انقطاع عن العمل بدون إذن)[2]، وهنا يجد المفاجأة؛ صديقَه "شريف ماهر الكردي" نزيلا بالمشفى، يعاني أعراض الذّهان العصبي، وبعضا من الاضطرابات الوجدانية، والحالات الهستيريّة، أقلّها فتور الانتباه للمؤثرات الخارجيّة، وهو "متّهم بقتل زوجته "بسمة مجدي" (حلّقت عارية من الدور الثلاثين لأحد الأبراج)[3]، يحاول "يحي" تقديم الدعم النّفسي والعلاج العقلي لصديق– الجامعة "شريف".

من هنا ينطلق الخطاب الإستهوائي معلنا عن رواية نفسية غارقة في عوالم سرياليّة وملابسات فنتازية، متجاوزة حدود الواقع، كاشفة عن تلونات عاطفية، ومتاهات سحرية، وخيالات غامضة، فيها وشمٌ، ومسٌ، وطلاسم، وشعوذة، تفضي إلى الاغتصاب، والتعذيب، والقتل، كلّها أحداث سيكولوجية تغرق الرّواية في التخييل والعجائبية.

ولعلّ الجوانب الدرامية، والأحداث النّفسية، وما رافقها من صراع، وقلق، وتوتر، أرغم البحث أن يختار منهجا قادرا على وضع النّفس البشرية على مشرط سيمياء العواطف[4] مستعينا بمخرجات علم النّفس؛ علّهما يسعفانه في تشريح المواقع العامليّة، ومكاشفة مساراتها العاطفيّة، وما تعانيه من أمراض نفسية، وتقلبات مزاجيّة، انطلاقا من وضع البداية، إلى وضع الصدمة/التحول، وانتهاء بوضع الختام، وهو استقراء طبيعي للنظرية السيميائيّة التي تُعنى بالأبعاد العاطفية؛ لأنّ "العناية بالبعد الهووي ـ بعد حصر البعدين؛ التداولي والمعرفي ـ يأتي لملء بياض النّظرية السيميائية الأساس، وإن ظهور إشكالية الأهواء، والعواطف الإنسانية في فضاء الصرح السيميائي، قد أعاد مباشرة الاعتبار إلى الحياة الداخلية للذات بعد ما تَّم استبعادها تحت إكراهات الخلفية البنيوية"[5]، التي تحاول النّأي عن كل ما يمتّ للذات بصلة، فجاءت سيمياء

العواطف؛ لتعير الاهتمام لأحاسيس الذات، على الرغم من أن هذا الإقحام قد تمّ على استحياء وحذر؛ كون العواطف لها ارتباط وثيق بالذوات، مما يجعل هذا اللون السيميائي يقترب شيئا فشيئا من علم النّفس، وهو انزلاق سيخرجها من النّسقيّة إلى مجالات سياقيّة، غير أنّ القائمين على سيمياء العواطف قد راهنوا على أنّ هذه الأهواء لا تؤخذ مباشرة من جوانب تأثيرها في الذات الحقيقيّة/الجانب السيكولوجي، بقدر ما تؤخذ مما تفرزه من معانٍ سيميّة مشفرة داخل فعل التّخطيب والتسريد؛ ما يعني أنّ الجانب العاطفي في سيمياء الأهواء يأخذ بعين الاهتمام مجمل التوترات المختلفة التي تحيط بالذات في مواجهتها للنّسق التراتبي للأفعال، والأقوال، والأحداث، ومدى قدرتها على إنتاج الخطابات؛ ذلك أنّ "هوى الذات يمكن أن يكون حصيلة فعل؛ إمّا فعل الذات نفسها، وإمّا فعل ذات أخرى يسميه السيكولوجيون "الانتقال إلى الفعل"[6]، وهو ما يحفز ثنائية الفعل والعاطفة في توسيع مجال علاقات الصلة في مركز البرنامج السردي.

2.المخطط النظامي العاطفي/الرّسم الأهوائي:

يشكل المساق العاطفي في الخطاب صورا حسيّة تنتاب الجسد، وحتى تظهر هذه الصور وجب إخضاعها لمخطط تمثيلي، تقوم به الممارسة التلفظية؛ كي توفر له القدر الكافي من الوضوح لاتخاذ شكل ثقافي عام يمنحه معنى[7]، فالخضوع لمنطق خطابي هو ما يجعل الأزمة الأهوائية تنتظم في شكل مقطوعة بمراحل متعاقبة تمنحها قابلية الحكي"[8] المتواتر.

ومن هذا المنظور حاول غريماس (Algirdas Julien Greimas) وفونتاني (Jacques Fontanille) التخطيط؛ لتمثيل الأبعاد العاطفية داخل الخطاب في ترسيمة شبيهة بترسيمات السرد، فكانت على هذا النحو الخطّي الترتيبي:

اليقظة العاطفية ←الاستعداد ←المحور العاطفي ← الانفعال ←التهذيب

1.2اليقظة العاطفية/الوعي النّفسي:

يعد فعل اليقظة استعدادا نفسيّا، يسعف الذات الاستهوائية على مراقبة مشاعرها والسيطرة عليها، ومن ثمّ توجيهها نحو الوجهة الآمنة والمطمئنة؛ كي لا تقع في مهواة الخطأ والزلل العاطفي، وكلما كانت الذات مستفيقةً، ازداد وعيها بالأشياء من حولها، وارتفع معدل الكفاءة عندها، وتوسعت لها زوايا الرؤيا؛ لأنّ اليقظة النفسية تمثل "القدرة على مراقبة المرء لعواطفه وعواطف الآخرين، وعلى التمييز فيما بينها، وعلى استخدام هذه المعرفة من أجل توجيه تفكير المرء وأفعاله"[9]، كما أنها تحسّن من فعل التواصل الحميمي، وتقلل من الحالات المزاجيّة المتسرعة، وتجعل الذّات بعيدة عن التحيز العاطفي لموقف دون موقف آخر، غير أنّ تأثير حضور المؤثرات[10] في الذات يختلف باختلاف تلقي الشحنات العاطفية خلال مدة زمنية ما؛ فهناك إيقاع عاطفي متسارع، وإيقاع آخر متباطئ، وهما يختلفان باختلاف مقدار التوتر العاطفي بدلالة مؤشر الزمن.

يتعايش "يحي" مع عالم غاص بالأفكار المشوشة، والمشاعر المزدحمة، متناقضة حينا، ومنسجمة مرات أخرى، تراوده خطط نفسيّة، وإرهاصات حدسية، وهو واعي الذهن حاضره، "مُستغرق في غيبوبة النشوة الروحية، والمتأمل ذاته على نحو عميق، وتنتهي بالوعي الذي بدأ يدرك أنه يدرك الموضوع الخارجي، ويتصور، ويتخيل، ويشعر، ويحس، ويحدس، ويجرّد، ويُشَخْصِن"[11]، الوضع الروحي الذي انتهى إلي مزاج "شريف" بعد رحلة الاضطراب العاطفي والفسيولوجي.

(شريف شارد في نقطة وهميّة على الحائط...وأنا أستجمع فروق عشر سنوات فاتتني بعدا، كم تغير؟ يبس وجهه، وحفر خديه بخطين غائرين،

انخسفت عيناه الخضراء في محجريهما...شريف..ندائي كان مرساة مركب قذفت في بحر لا قاع له...لم يتحرك ولم يعرني أدنى اهتمام)[12].

تبدو هذه المرحلة العاطفية للذات هادئة مستكينة، قليلة التوتر، ضعيفة الضغط، يغلب عليها التأمل والتفكير؛ متشبعة بالوعي النفسي، وتمتاز بانضباط الجسد، والدّليل أنّها تستكين إلى مكتبها في أريحية، تراقب، وتتشوف، وتسأل، علّها تحصل على المجهول في معادلة "شريف" النّفسية.

– (استندت على مكتبي مقتربا، وكررت النداء...شريف...أنا يحي...يحي الراشد...شريف معقولة مش فاكرني...) ،.

– (فاكر المدرسة...فاكر رانيا وشرين...ولا البت لينا اللبنانيّة)

– (إزيك يا شريف...مش مصدق إننا قاعدين مع بعض...، بس تصدق لايق عليك اللوك الجديد ده...شعرك والتاتو، جو جديد خالص...)[13].

إننا لو أمعنا التبصر في المخطط النّفسي الذي هندسته الذات اليقظة؛ بغرض استمالة "شريف"؛ كيما يكون أكثر انتباها وإنصاتا لكل ما يصدر من "يحي الطبيب" سنجده مخططا يعتمد أساسا مهارة تواصليّة لغوية وغير لغوية، منها:

- جلوسهما في بيئة مغلقة فيزيائيا، وهو مهارة تواصليّة من أجل أن لا يتشتت تركيز "شريف" على أشياء أخرى، ويبقى أكثر انتباها وإنصاتا.

- جلوس "يحي" في وضعية مفتوحة/ فوق المكتب؛ وهو جلوس له دلالة سيميائية؛ "تلك الدلالة التي ترتسم من خلال الأحاسيس والانطباعات، التي يجربها الجسد خلال اتصاله بالعالم"[14] من حوله؛ وهو وعي حركي، وتواصل جسدي، يعزز التواصل الفعّال، ويظهر الاهتمام والإنصات (استندت على مكتبي مقتربا..).

- لم تكن الذات تمارس الثرثرة على المرسل إليه "شريف"؛ بل كانت موجزة، واضحة، وواقعية. ومباشرة (أنا يحي/يحي الراشد/ فاكر المدرسة/ فاكر رانيا وشرين...)، لأنّ الاتصال الموجز يوفر إجابات موجزة وشفافة، ويصل إلى الهدف بأقصى سرعة ممكنة، كما يتيح شدّ انتباه "شريف" وتركيزه.
- محاولة تحسس الذاكرة العاطفية لـ"شريف"؛ لأنّ الأحداث الانفعالية يتم الاحتفاظ بها بشكل يختلف عن باقي الأحداث الأخرى المحايدة؛ لذا عمد "يحي" لاستذكارها قصد تثوير بعض المشاعر، وقياس الاستجابات العاطفية (فاكر المدرسة...فاكر رانيا وشرين...ولا البت لينا اللبنانيّة) التي يمكن أن يرشح من خلالها ما يعانيه "شريف".

كل هذا الذكاء الانفعالي(Intelligence émotionnelle) والوخز النّفسي التدريجي، يُعدُّ إستراتجية نفسية متكاملة، تحاول تفكيك موضوع "شريف" وفهمه مسبباته ومآلاته؛ ولعل هذا التحقيق السيكولوجي النّاعم من قبل الذات الاستهوائية إزاء المرسل إليه، جاء بغرض بناء أرضية انطلاق لبناء تكهنات افتراضية؛ وتصورات نفسية؛ لمعرفة ما يختلج في خلد "شريف" من خواطر وانفعالات.

هكذا يصبح الذكاء الانفعال عند الذات "يحي" حالة " إدراك لقدرته على الانتباه والإدراك الجيد للانفعالات والمشاعر الذاتية، وفهمها وصياغتها بوضوح وتنظيمها وفقا لمراقبة وإدراك دقيقين لانفعالات الآخرين ومشاعرهم؛ للدخول في علاقات انفعالية اجتماعية تساعد على الرقي العقلي"[15]، وهو المسار النفسي الذي ما لبثت الذات الانفعالية اتخاذه؛ قصد التخفيف من شدة التوتر الذي قد يتسلل للذات عبر مساقات اللاشعور؛ لذا وعبر هذا الذكاء وجدت نفسها رهينة ارتخاء عاطفي جنّبها القلق والإحباط واللاجدوى.

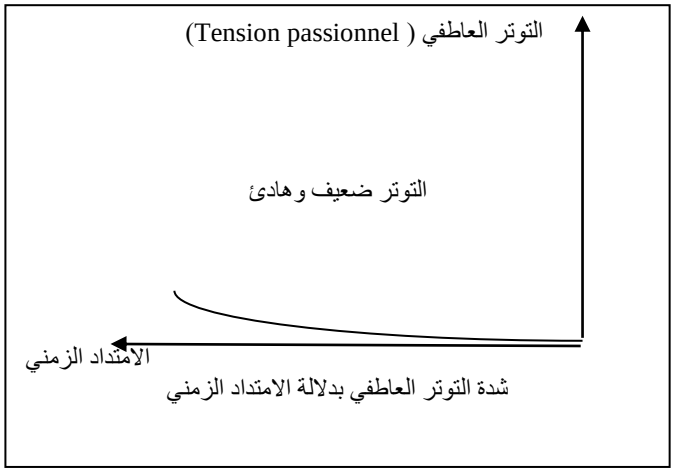

2.2 الاستعداد العاطفي(la disposition passionnel) :

هو قدرة الذات الكامنة على الظهور بأفضل أداء عاطفي قصد إنجاز كفاءة ما بمنتهى المرونة والانسيابيّة، وهو برمجة نفسية تفرض على الذات الإستهوائية أن تكون على أهبة التوقع، وأن تتخيل نتائج جميع المواقف الأهوائيّة المحتملة؛ لأنها تمتلك القدرة على تقبل كافة التوقعات، ومن ثمّ فالاستعداد هو مشهد عاطفي يعبر عن الصورة النفسية للذات أثناء وقوع انفعال ما، أو هو"لحظة تتشّكل فيها الصورة العاطفية، أو المشهد النّفسي، أو السيناريو المتخيل، ومن ثمّ يتم وقوع اللذة أو الألم"[16]، بحسب طبيعة المعطى النّفسي الحاصل.

ولتقريب البرمجة الكامنة في كينونة ذات الخطاب "الطبيب يحي"، نحاول وضع خطاطة إستهوائية تستوعب التحولات، التي تطرأ عليه بدءا من الاستعداد الأولي/المحفز التجريدي وصول إلى مستوى الجزاء/التقويم الأخلاقي؛ لأنّ "الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانيّة لا يمكن أن يتمّ عن طريق الصدفة؛ بل يجب التعامل مع هذا الانتقال كعنصر مبرمج"[17] يشبه حالة

الاستعداد العاطفي، ففي حالة "رغبة يحي" في المرافقة النّفسية، نجد أنّ واجب الوفاء، وقيم الصداقة يوفران القدرة على تخيل مشهد تعافي "شريف" من وضعه النفسي المعقد، ذلك أن "يحي" يمتلك الحافز /الرّغبة في إنجاز الكفاءة "العلاج".

الاستعداد العاطفي/التصرف العاطفي			
المحفز/التحريك	**الكفاءة/القدرة**	**الانجاز**	**الجزاء**
رغبة "الطبيب يحي" في تقديم الدعم النفسي	واجب الوفاء، قيم الصداقة	مرافقة "يحي" لصديقه "شريف"، وتقديم الإسعافات النفسية والعقلية	شفاء "شريف" وخروجه من نفقه النفسي المظلم

3.2المحور العاطفي(Le pivot passionnel) :

ويمكن تسميته بلحظة الانزياح العاطفي، وتكون حينها الذات العاطفيّة أمام حضور أحداث، أو أقوال، أو أفعال، تهدد أمنها النّفسي، فتلجأ إلى ما أسميناه بحالة اليقظة العاطفية، أو إلى مهارة الاستعداد النّفسي قصد الخروج بأقل الخسائر العاطفية، أو كما عرّفه فونتاني (Fontanille) من أنه "تلك اللحظة التي نشعر فيها أنّنا أمام تحّول للحضور، وليس أمام تحّول سردي فقط، ففي هذه المرحلة يعرف العامل معنى الاضطراب (اليقظة، وصورة الاستعداد)"[18]،هذا الوعي العاطفي(L'éveil affectif) يسعفه على التغلب، والتجاوب مع المواقف العاطفية المختلفة.

وهذه اللحظة هي سلوك نفسي طبيعي يمثل استجابة لمثير ما، فتحدث تغييرات انفعالية أو حسيّة كردة فعل على موقف معين، وهنا يعتمد على مدى النضج العاطفي (اليقظة، وصورة الاستعداد) الذي يتزود به العامل؛ لأنّ في

هذه اللحظة تتمظهر العواطف في الخطاب بشكل حقيقي، وإجرائي، مع مراعاة عامل الثقافة الذي سيوجه الأهواء، ويرتب المواقف بطريقة تعدّل حالة الذات العاطفية نحو مخرجات نفسية بأقل الخسائر الوجدانيّة.

(قاطعت قراءتي رنّةُ الهاتف المحمول برقم غير مسجل..

ألو...يحي؟ ...تلك الـ"ألو"...

مين معايا؟...أنا لبنى

تعرّقت فروة رأسي، وخفق قلبي، فمشيت خطوتين ورجعتهما حين قطعت صمتي

مش فاكرني ! !

أفقت من ذهولي...فسلّكت زوري بكحة

لأ...طبعا فاكرك.)[19]

من خلال هذا الملفوظ السردي، يمكن تقسيم أحداثه الانفعالية إلى ثلاث مراحل نفسية هي:

-حدوث اللامتوقع: وهي حالة اهتزاز انفعالي يصيب الذات جراء إحراج موقفي من الحضور الذي جاء في صورة مكالمة هاتفيّة مفاجئة (الحدث الضاغط)، وغير متوقعة من لُبْنَى، فتبدو الحالة الداخلية للعامل "يحي" مرتبكة، ومرتعشة، وغير مستقرة نفسيّا (الشعور بالارتداد المفاجئ).

-أعراض اللامتوقع: في هذه المرحلة تعيش الذّات حالة انفعال نفسي، واختلال هرموني، واضطراب إدراكي، فتفقد الذات حينها اتزانها السلوكي، بما يفقدها القدرة على التركيز، وتراجع أداء الذاكرة، ومن ثمّ صعوبة اتخاذ القرار المناسب (الشعور بالتشويش).

–الترميم واتخاذ القرار: يكون العامل في هذه المرحلة قد استعاد تركيزه، وأعاد توازنه النّفسي، في مواجهة المأزق الضاغط بفضل مقدرات اليقظة النّفسية، والاستعداد العاطفي، التي تتمتع بها الذات، فضمنت بذلك خروجا آمنا دون خسائر عاطفية تذكر (القدرة على التعافي).

والجدول الآتي يوضح الصور الانفعالية للعامل وقت حدوث اللامتوقع، وأهم الأعراض العاطفيّة، والبيولوجيّة، والعقليّة، وكذا الاستجابة الانفعاليّة السريعة في مواجهة الضغط النّفسي:

حدوث اللامتوقع	أعراض اللامتوقع	الترميم والتوجيه الإيجابي
رنة الهاتف لبنى في الهاتف	أعراض نفسيّة: التلكؤ، الارتباك، الدهشة. أعراض جسمية: تعرّق فروة الرأس، خفقان القلب. أعراض إدراكيّة: مشيت خطوتين ورجعتهما، قطعت صمتي (صعوبة في اتخاذ القرار).	الترميم النفسي: "أفقت من ذهولي" الترميم الجسماني: "فسلّكت زوري بكحة" الترميم الإدراكي: "طبعا أنا فاكرك"

4.2 الانفعال (émotion) :

يعدّ الانفعال حالة من الاهتياج، تنشأ بسبب أنّ التفكير أو السلوك المعتاد قد تعطّل لظروف خارجة عن السيطرة، فتدخل الذات وقتها في تغييرات داخلية، أو مظاهر خارجيّة، تعبر به عن مدى الاضطراب الحاصل للعامل أثناء مواجهته للضغوط النّفسيّة، "كما يتصف الانفعال بحدوث استجابة فيزيولوجية على درجة من الشدة تتضح في الارتفاع المفاجئ لضربات القلب،

أو انقباض عضلات المعدة، أو ازدياد في ضغط الدم، أو ازدياد التوتر العضلي؛ ومن ثم يمكن القول بأن الانفعال هو حالة تغير مفاجئ، تشمل الفرد كله دون أن يختص بها جزء معين من جسمه؛ أي أنه حالة وجدانية شعورية يشعر بها الفرد ويمكنه وصفها."[20]، والذات وقتها أمام اختبار نفسي، تفصح من خلاله عن ردّة فعلها بالهدوء أو بالتوتر بحسب طبيعة المُعطى الانفعالي.

فالانفعال إذا اضطرابٌ داخلي، تظهر علاماته " الجسدية التي ترافق أو تعبّر عن الحالات الانفعالية، والتي تتجلى في رد فعل الجسد والتفاعل بين الذوات، فتظهر كذلك كأفعال يمكن أن تدخل في نوع من الإستراتيجية تجعلها تنجح أو تخفق"[21]، مثلما هو الحال لدى الذات يحي عند رؤية الكلب الأسود، وشعورها بالخوف، فيقول عن نفسه:

"حين أطلت النظر لمحت خيالا مهزوزا لجسم يقف خلف شريف...جسم أسود يتكئ على أربعة قوائم، شكل أقرب لكلب! كلب أسود! ...قد تحرك نحوي! هنا انتابتني الرّعشة، تلك البرودة التي تعتريك حين تدرك أنك لست وحدك في الغرفة، وتنصب شعر جسدك، كجمهور استاد يصنع موجة تشجيع!..أنفاسي انسحبت بلا رجعة، ضربات قلبي فقدت إيقاعها، والعرق أغرقني في ثانية، كنت أعرف أن أي حركة كفيلة بتنسيلي كصدر فرخة"[22]

إنّ التتبع التسلسلي لمخطط الانفعال داخل هذا الملفوظ السردي العاطفي، يظهر مراحل شعورية متراتبة، واستجابات حركية وعصبية تلقائية، تبديها الذات بوصفها ردود أفعال غريزية.[23]

-مرحلة الإدراك: وهي حالة تكون فيها الذات/ يحي متوافقة مع شعورها وجسدها(حين أطلت النّظر)، حيث الجانب الشعوري متجانس مع الجانبين؛

الحركي والفسيولوجي؛ ذلك أن التأمل فعل حياد الذات وهدوءها وتوافقها وانسجامها مع كل ما يحيط بها من مثيرات (درجة الانفعال صفر).

-مرحلة التقدير: وهي مرحلة تقدرها فيها الذات طبيعة الخطر المحدق بها، وتحكم عليه، إن كان يهدد حياتها، أم هو خطر عابر (لمحت خيالا مهزوزا لجسم يقف خلف شريف...جسم أسود يتكئ على أربعة قوائم).

-مرحلة الانفعال: وهي مرحلة تكون فيها الذات قد دخلت طور عدم الاستقرار، ومالت إلى الشعور بالخوف والارتعاش (هنا انتابتني الرّعشة).

-مرحلة التعبير: وهي مرحلة تكون فيها الذات/يحي، قد بدأت تدرك التغيرات الطارئة التي من حولها، فيزداد إيقاع التوتر شيئا فشيئا مع التقلص في التمدد الزمني (تلك البرودة التي تعتريك حين تدرك أنك لست وحدك في الغرفة، وتنصب شعر جسدك، كجمهور استاد يصنع موجة تشجيع!..أنفاسي انسحبت بلا رجعة، ضربات قلبي فقدت إيقاعها، والعرق أغرقني في ثانية)، مما يعطل التفكير المنظم، والقدرة على فهم ما يجري (درجة الانفعال أكثر من الصفر).

-مرحلة الفعل: وهي مرحلة ردة الفعل، ومحاولة إدارة الانفعال بما يتماشى والملابسات الوجدانيّة المحيطة بالذات، وهي هنا تظهر مهارة انفعالية في ضبط المشاعر، حيث تُبقى على سكونها دون أدنى حركة أو تنفس (كنت أعرف أن أي حركة كفيلة بتنسيلي كصدر فرخة)، ولعل القدرات الإدراكية للذات أسمهت في التقليل من شدة التوترات الانفعاليّة.

5.2 التهذيب/الحكم الأخلاقي:

وهذه المرحلة هي المحطة الأخيرة في المساق العاطفي للذات، وعلى مخرجات هذا المساق يكون الحكم الأخلاقي؛ كي تقرر الذات حكما نهائيا على مجمل العواطف، التي انتابتها وانفعلت من أجلها (تقييم العاطفة)، ولعلّ الذات

وحدها لا تقدر على تقويم المسار الانفعالي، إلا بعد إضافة المؤشر الاجتماعي بوصفه رقيبا آخر على قيم الجماعة؛ لأنّ كلّ " تقويم في كل الثقافات يحتكم إلى معيار الشدة؛ بمعنى أنّ كلّ درجة منه تمثل عتبة للقياس تفصل شدة العاطفة من ضعفها بمقدار تجاوزها لها أو مكوثها قبلها"[24]، حيث تجازى في الأخير توترات العاطفة بقياس الإيجاب أم السلب، وبحسب معارضتها لقيم المجتمع أو رفضها له.

هكذا يصبح التهذيب مرحلة أخيرة للمخطط النّظامي العاطفي للذات؛ وبإمكاننا أن نحكم عليه بالخمود (السلب)، أو بالديناميكية (الإيجاب)، بحسب شدة العاطفة أو ضعفها، وعلى وفاق هذه الثنائية يمكن تقييم المخطط التوتري للذات.

– (شريف يدفعني دفعًا إلى حائط خرساني ملئ بالمسامير..)

هذه العبارة الوجدانية هي اعتراف من الذات "يحي" على المساق العاطفي الذي آل إليه شريف، إنه السير نحو المجهول، والانطلاق نحو أفاق مظلمة معتمة، لا سبيل للعامل للخلاص من هذا القلق الوجودي، الذي يبدو أنه صراع مأزوم بين الأنا الشعورية والأنا اللاشعورية.

في ختام هذا البحث لا ندعي أننا توصلنا إلى إجابات تطمئن لها مخرجات سيمياء العواطف، ولا حتى مخرجات علم النفس؛ لكن حسبنا في ذلك استعانتنا بالعلوم البينية، والمشتركات المعرفيّة؛ وهو ما يجعل النتائج أقرب إلى الوضوح، وأبعد عن اللبس والغموض.

وفيا يلي جملة نتائج حاولنا إجمالها في النقاط الآتية:

- رواية الفيل الأزرق رواية سريالية، تعوم في عوالم غرائبية، تحكي متاهات نفسيّة، ودهاليز وجدانية، فيها تيه عاطفي، وانهيار عصبي، واضطراب فسيولوجي، وضياع لبوصلة الإدراك والوعي.
- إنّ للأهواء دورا في تحريك الأفعال والمواقف؛ فهي أساس التأثر والتأثير، بوصفها المسولة عن توليد الأحداث، ودفعها باتجاه التطور والنمو المفضي إلى التأزم والقلق، أو إلى الانفراج والانشراح.
- عجلة العواطف في الرّواية بالكاد تهدأ، وتخمد؛ لتبدأ من جديد معلنة حالة طوارئ نفسية لا قرار لها؛ بسبب ما فيها من أحداث متشابكة، تتوتر تارّة، وتسترخي تارّات أخرى.
- جاء الخطاب الاستهوائي في الرواية؛ ليرصد خريطة عاطفية (Carte passionnelle) للذات عبر خطاطة سردية، تستقرأ السير الخطي للأحداث في التخطيب السردي.
- أظهرت الذات الاستهوائية قدرة على السيطرة على مشاعرها من خلال حضور برنامج سيكولوجي أتاح لها تخطي الكثير من العوائق النفسيّة.
- تثري سيميائية الأهواء الخطاب السردي بمخططات عاطفية، نستطيع من خلالها استقراء العاطفة، وقياس توتراتها، ومراقبة حركتها التصاعدية (توترات إيجابية)، وإمّا تنازليا (توترات سلبية) تبعا للوعي النّفسي للذات.

3. قائمة المراجع:

- أحمد مراد: الفيل الأزرق، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، 2012.
- ألجيراس.ج غريماس وجاك فونتيي:سيمياء الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النّفس، ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2010.
- إيمان عباس الخفاف: الذكاء الانفعالي، تعلم كيف تفكر انفعاليا، دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2013.
- جوزيف إدوارد موراي (Joseph Edward Murray): الدافعية والانفعال، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، مراجعة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر، 1988.
- حسن مصطفى عبد المعطي وهدى محمد قناوي: علم نفس النمو، الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 1994.
- محمد بادي: سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع (مقاربة ابستيمولوجية)، عالم الفكر، العدد الثالث، المجلد، 35، يناير، مارس، 2007.
- ندره اليازجي: المعرفة سبيل التكامل النّفسي، موقع معابر

http://www.maaber.org/seventh_issue/depth_psychology_1.htm

آخر زيارة للموقع بتاريخ:2019/09/20

- A.J.Greimas et Jacques Fontanille : Sémiotique des passions (Des états de chose aux états d'âme).Ed : Seuil, 1991. Avril.

- Jacques Fontanille, Sémiotique du discours, presse universitaire de limoge, Paris, 1998.

-Jacques Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris , 2003.

-Jacques Fontanille, Sémiotique et littérature «essais de méthode », 1ere édition, Presse Universitaires de France, Paris, 1999.

- Salovey, Peter & Mayer ,John D, Emotional Inteligence, Baywood publishing Co, inc.1990.

4. هوامش:

1 - "الفيل الأزرق": هو عمل روائي من تأليف الروائي المصري أحمد مراد، نشرتها دار الشروق عام 2012، وتم تجسيدها دراميا في إنتاج سينمائي سنة 2014، من بطولة كريم عبد العزيز، لقيت نجاحا باهرا، وتحصلت على جائزة البوكر العربية، بالإضافة إلى مبيعاتها داخل البلاد العربية وخارجها.

2 - أحمد مراد: الفيل الأزرق، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، 2012، ص، 07.

3 - الفيل الأزرق، ص، 44.

4 - يعد "ألجيراس.ج.غريماص" و"وجاك فونتانيي" من أبرز مؤسسي سيميائية الأهواء؛ وهي أحد المناحي السيميائية، التي تختص بدراسة الانفعالات النفسيّة والتقلبات العاطفية التي يمثلها محسوس ما، بعد أن كان الاهتمام منصبا على دراسة الأفعال والأقوال، وإن كان النوعان (سيمياء العواطف / سيمياء الفعل) غير منفصلين عن بعضيهما البعض؛ بل هما معا يأتيان في سياق "البعد السيميائي للوجود المتجانس؛ وذلك في إطار علاقة الإنسان بالعالم، من خلال ما يضطلع به من أفعال للانتقال من حالة الفصل إلى حالة الوصل، وما يشعر به كرد فعل على ما يتلقاه" ينظر:

- A.J.Greimas et Jacques Fontanille : Sémiotique des passions (Des états de chose aux états d'âme).Ed : Seuil, 1991. Avril, P.14.

5 – محمد بادي: سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع (مقاربة ابستيمولوجية)، عالم الفكر، العدد الثالث، المجلد، 35، يناير، مارس، 2007، ص، 203.

6 – ألجيراس.ج غريماس وجاك فونتيي:سيمياء الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النّفس، ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2010، ص، 101.

7 – Jacques Fontanille, Sémiotique du discours, presse universitaire de limoge, Paris, 1998, p*121.*

8 – .Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions , p.270.

9 – Salovey, Peter & Mayer ,John D, Emotional Inteligence, Baywood publishing Co, inc.1990. P189

10 – Voir, Jacques Fontanille, Sémiotique du Discours, p *122*.

11 – *ندره اليازجي: المعرفة سبيل التكامل النّفسي، موقع معابر*

http://www.maaber.org/seventh_issue/depth_psychology_1.htm

آخر زيارة للموقع بتاريخ:2019/09/20

12 – الفيل الأزرق، *ص: 45.*

13 – الفيل الأزرق، 47/46.

14 – Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris , 2003 , p 227.

15 – *إيمان عباس الخفاف: الذكاء الانفعالي، تعلم كيف تفكر انفعاليا، دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2013، ص، 198.*

16 – Voir J, Fontanille, Sémiotique Du Discours, p 122.

17 – سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 1994، ص، 55.

18 – Voir J, Fontanille, Sémiotique Du Discours, p 12*3*.

19 – الفيل الأزرق، ص، 54.

20 – حسن مصطفى عبد المعطي وهدى محمد قناوي: علم نفس النمو، الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 189.

21 – Jacques Fontanille, Sémiotique et littérature «essais de méthode », 1ere édition, Presse Universitaires de France, Paris, 1999, p – 22 24

22 – الفيل الأزرق، ص، 101.

23 – ينظر خطة التسلسل الانفعالي للباحثة ماجدة آرلوند (Magda Arnold)، جوزيف إدوارد موراي (Joseph Edward Murray): الدافعية والانفعال، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، مراجعة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر، 1988، ص، 106-107.

24 – voir: Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions , p.163.

*** *** ***